كنز الدرر وجامع الغرر

الجزء السادس

الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية

تأليف

أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري

تحقيق

صلاح الدين المنجد

القاهرة

١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية

مَصادِر تاريخ مِصر الإسلاميَّة

يُصدرها

قسم الدّراساتِ الإسلاميَّة

بالمعهد الألماني لِلآثار بالقاهرة

جزء ١ قسم ٦

تصدير

فى عام ١٩٥٨ اقترحت على الأستاذ هانس روبر — وكان يومئذ فى المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة — أن ينشر المعهد سلسلة من النصوص التاريخية المتعلّقة بمصر الإسلامية ، ودللتُه على كتاب كنز الدرر لابن الدوادارى ، وأبنتُ له أنه مصدر من الطراز الأوّل وخاصة فيما يتعلّق بعصره .

وقد استجاب الأستاذ روبر ، ثم المعهد إلى اقتراحى . واتفقنا أن نحقق الكتاب معاً .

وكان اهتمام الأستاذ روبر بالجزأين الثامن والتاسع : المتعلقين بالعصر المماليكى ، وصرفتُ عنايتى إلى الجزأين السادس والسابع المتعلقين بالفاطميين والأيوبيّين .

إنى سعيد جداً أن ينهض المعهد الألمانى بالقاهرة بنشر النصوص التاريخية المتعلقة بمصر . فالواقع أن هذه النصوص والوثائق كثيرة جداً ، وإذا استثنينا بعض تواليف المقريزى ، فإن ما نشر منها قليل . ونعتقد أن كتابة تاريخ مصر الإسلامية لا يمكن أن تتم بوجه أكمل إلا بعد نشر هذه النصوص والوثائق . لذلك كان عمل المعهد مفيد جداً ، للعلماء والباحثين ، ولمصر نفسها .

وإنى أغتنم هذه الفرصة لأشكر الأستاذ هـ . شتوك مدير المعهد على إخراجه هـذه السلسـلة المفيدة ، وعلى تكليفى تحقيق هـذا الجزء ، ومساعداته القيمة .

وإلى الأستاذ روس الذى استجاب لاقتراحى ، وأقبـل على تحقيق الـكتاب ، فـكان أول نص ينشره بالعربية .

وإلى زملائى فى معهد المخطوطات : فؤاد سيد ، ورشاد عبد المطلب ، ومحمد مرسى الخولى ، ومحمد عبد القادر ، الذين أعانونى فى تصحيح تجارب الطبع وصنع الفهارس .

ص . م

مقدمة

كان القرن الثامن الهجرى من أخصب العصور الإسلامية فى المؤلفات التاريخية . فقد ظهر فيه عدد كبير من المؤرخين ، تركوا آثاراً تاريخية مهمّة . وكانت الكثرة من هؤلاء ، من رجال الحديث الذين جمعوا بين الحديث والفقه ونقد الرجال ، وبين التأريخ بمفهومه عند المسلمين . كالقطب اليونينى (٧٢٦ هـ — ١٣٢٦ م) ، والبرزالى (٧٣٩ هـ — ١٣٣٩ م) ، وابن الجزرى (٧٣٩ هـ — ١٣٣٩ م) ، والذهبى (٧٤٨ هـ — ١٣٤٨ م) ، والحسينى (٧٦٥ هـ — ١٣٦٤ م) ، والسبكى (٧٧١ هـ — ١٣٧٠ م) ، وابن كثير (٧٧٤ هـ — ١٣٧٣ م) وابن رافع (٧٧٤ هـ — ١٣٧٢ م) ، وابن رجب الحنبلى (٧٩٥ هـ — ١٣٩٢ م) . وعُرف فريق جمع بين الأدب والتأريخ كالصلاح الصفدى (٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م) . وفريق ثالث كان من الورّاقين ، كابن شاكر الكتبى (٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م) . وفريق رابع كان ممن يتّصلون بالدولة أو كانوا موظفين فيها أو أبناء موظفين ، مثل بيبرس الدوادارى (٧٢٥ هـ — ١٣٢٥ م) ، وأبى بكر ابن الدوادارى (بعد ٧٣٦ هـ — ١٣٣٥ م) . وقد امتازت كل فئة فى تآليفها التاريخية بميزة خاصة .

ومؤلف الجزء الذى ننشره هو من الفئة الأخيرة . وميزة هذه الفئة أنها كانت شهود عيان لكثير من الحوادث التى عاصرتها ، وأتيح لها أن تطلع على خفايا أمور السياسة فى ذلك العصر ، كما أنها عبّرت عن وجهات النظر الحكومية فى أحيان كثيرة . وعلى هذا فإن ما يتعلّق ، من مؤلفاتها ، بالعصر الذى عاشت فيه ، هو على جانب كبير من الشأن . أما ماسبق عصرها فقيمته متعلقة بشأن المصادر التى استمدت منها ، وطريقة الأخذ عنها .

ونحن لا ندرى الكثير عن مؤلّف هذا الجزء . ولولا كتبه التاريخية التى وصلت إلينا لما عرفنا عنه شيئاً . إذ سكت عنه الذين ترجموا لعلماء القرن الثامن ورجاله ، فى حين ترجموا للكثيرين غيره . وإذن فإن من الصعب أن نقدّم ترجمة واسعة له . ومن المؤسف أنه هو أيضاً لم يتحدّث عن نفسه كثيراً فى تاريخه ، وما وجدناه فى تاريخه قد يقدم له ترجمة صغيرة ، ولكنها على كل حال ناقصة .

يذكر المؤلف فى عنوان تاريخه اسمه . وهو « أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك صاحب صرخد » . ولنحاول أن نبحث أولاً عن جدّه . لقد بحثنا كثيراً عن ولاة صَرْخَد ، وهى بليدة فى حوران لها قلعة مشهورة ، فوجدنا فيهم « أيبك صاحب صرخد ، الاستادار المعظمى » . وكان هذا

توفى سنة ٦٤٥ هـ . وهو بانى للمدرسة العزيّة على الشرف الأعلى بدمشق . وتذكر المصادر أنه توفى بصرخد ، ثم نقل إلى مدرسته بدمشق . لكن مؤلفنا يذكر أن جدّه وجدّته مدفونان بأذرعات . فلعل جدّه أيبك آخر كان صاحب صرخد .

أما أبوه فيحدّثنا ابنه أنه سُمّى بالدوادارى لأنه انتسب إلى خدمة الأمير سيف الدين بَلَبَان الرومى الظاهرى . ويذكر ابن تغرى بردى أن بلبان هذا كان دواداراً عند الظاهر بيبرس الذى تولّى السلطنة سنة ٦٥٨ هـ وظلّ إلى سنة وفاته سنة ٦٧٦ هـ . وكان مقرّباً إليه مطلعاً على أسراره ، مدبّراً أمور القُصّاد والجواسيس والمكاتبات . وتوفى سنة ٦٨٠ هـ ، أى بعد موت الظاهر بأربع سنين .

على أننا لا ندرى متى انتسب إلى خدمة بلبان .

ويحدثنا أبو بكر أنهم كانوا يسكنون فى القاهرة بحارة الباطلية . وبهذه الحارة نشأ ورُبّى ، فقد كان لأبيه سكن فيها .

ويحدثنا أيضاً أنه فى سنة ٦٩٩ هـ ، وُلّى أبوه أعمال الشرقية وإمرة العربان . فبقى فيها إحدى عشرة سنة ، إلى سنة ٧١٠ هـ ، فاستعفى فأُعفى . وخيّره السلطان بين البقاء فى القاهرة أو الذهاب إلى الشام . فاختار الشام . فباع سكنه ، ولم يكن لديه سواه ، وتجهّز

بثمنه إلى الشام ، ومعه ابنه المؤلف . وفى دمشق عُيّن مهمنداراً ، والمهمندار هو الذى يستقبل الرسل والضيوف الواردين ويدبر أمورهم ويُعنى بهم . ثم أضيف إليه شدّ الدواوين . فقبل العمل الجديد على كره ، حتى واتت الفرصة فتخلّص منه . وبقى مهمنداراً إلى سنة ٧١٣ هـ ، عندما مات ، وهو يقوم بمهمة رسمية . فقد كان يفتش القلاع ، وفى جولته مرّ بوادي الزرقا ، من الأردن ، قاصداً قلعة عجلون . فوقع من فوق فرسه ، ومات . فحمل إلى أذرعات بحوران ، ودُفن قريباً من أبيه وأمّه .

وتدلّ اللهجة التى يتحدث المؤلف بها عن أبيه على أنه كان ذا شأن ، وأنه شارك فى أمور هامة سياسيّة ، تتعلّق بالناصر محمد بن قلاوون ، وأنه كان مُهاباً ، وكان أميناً ، فقيراً ، خلف بعد وفاته الكثير من الديون .

أما مؤلفنا فالغموض يحيط بحياته . لا ندرى متى وُلد ، وقد ذكر أنه نشأ وربُى بحارة الباطلية بالقاهرة . ولما انتقل أبوه إلى دمشق ، ذهب معه ، وظل فيها إلى سنة وفاته (٧١٣ هـ) ، ولا ندرى إذا كان بقى بدمشق أم عاد إلى القاهرة ، وكذلك لا ندرى إن كان انتسب إلى خدمة الحكومة أم ظل بطّالاً منعزلاً ، لكننا نرجح أنه كان ذا صلة

حسنة بالناصر محمد ، فقد أشاد بذكره فى مقدمة تاريخه ، وفى مقدمة الجزء التاسع منه خاصة ، بل وضع تاريخه كله من أجله « فوضعت هذا التاريخ اللطيف مشرّفاً بالاسم السلطانى الناصرى الشريف » ، ونرجح أيضاً أنه انصرف عن أعمال الحكومة إلى تلقى الأدب والعلم « ... استأنستُ بالخلاء عن الملاء ، ووليت وجهى شطر الأئمة الفضلاء ، وبسطتُ حجرى لالتقاط درر الشفاه ، وجعلتُ ذلك دواء لقلبى وشفاه ... » .

على أنه كان فى حال حياة أبيه يرافقه دائماً ، وكان يحضر المحادثات التى كانت تجرى بين أبيه ورجال الدولة . وقد نقل الكثير منها فى الثامن والتاسع من تاريخه . وكان يستمع إلى آراء الكبار والقوّاد ، وكان يُساعد أباه على عمله ، وقد أنفذه مرّة إلى القاهرة ، وهو فى دمشق ، ليتخفى ويكتب له بما يجرى فيها من مؤامرات .

ولكن العجيب أن لا يذكر أباه أحد من المؤرخين . إنّ من يقرأ الجزء التاسع والثامن من كنز الدرر يحسّ بأن الرجل كان ذا شأن . وأنه أسهم فى الأمور السياسية إلى حد بعيد . فلماذا أغفل المقريزى وابن تغرى بردى وابن حجر ذكره ، وقد ذكروا من هو أقل منه شأناً ؟

ونستطيع أن نخلص إلى القول إن أبا بكر ابن الدوادارى كان من أسرة أفرادها من رجال الدولة الكبار — أبوه وجدّه — ونرجح

أنها كانت من حوران ، أو تعيش فى حوران . فجدّه كان صاحب صرخد ، وصرخد فى حوران ، ودُفن هو وزوجته فى أذرعات ، وهى فى حوران وكان لأبيه قرية خسفين إقطاعاً له ، وهى فى حوران أيضاً .

* * *

ولنتحدث عن شخصية ابن الدوادارى العلمية . يخبرنا فى مقدمة تاريخه الكبير « أنه اشتغل بفن الأدب ، السامى القدر ، العالى الرتب » ، وأنه تردّد إلى العلماء « . . . ووليت وجهى شطر الأئمة الفضلاء ، وبسطت حجرى لالتقاط درر الشفاه . . . ورويت عن الفضلاء من مشارقها ومغاربها » .

على أننا لا نجد ذكراً فى تاريخه لهؤلاء العلماء والفضلاء الذين تردّد إليهم وروى عنهم . ونجده فى الجزء التاسع من تاريخه يتردّد على بعض المتصوّفة ويروى أخبارهم . كما نجده يزور الأديرة فى الوجه القبلى ويقرأ ما فى خزائنها . وهو يذكر من مصادر الجزء السادس « الكتاب القبطى الذى وجدته بالدير الأبيض بالوجه القبلى واستنسختُ منه » وما ندرى إن كان يعرف القبطية ، أو تُرْجِمَ له ما فى الكتاب . وكذلك نراه يلتقط أو يقع على كثير من الكتب النادرة ، مما يدل على شغفه بالعلم والقراءة .

هذا الشغف العلمىّ دفعه إلى التأليف . وهو يذكر فى الجزء التاسع بعض الكتب التى ألّفها . مثل :

١ — أعيان الأمثال وأمثال الأعيان .

٢ — حدائق الأحداق ، ودقائق الحذّاق .

٣ — عادات السادات ، سادات العادات . فى مناقب الشيخ أبى السعادات .

ولم تصل إلينا هذه المؤلفات .

٤ — تاريخ موجز اسمه درر التيجان .

٥ — تاريخ موسع اسمه كنز الدرر .

وقد وصلا إلينا .

٦ — ووعد فى الجزء السادس ، أن يؤلّف بعد تكملة التاريخ الكبير ، أى كنز الدرر ، كتاباً اسمه « الروضة الزاهرة فى خطط القاهرة » وما ندرى إن كان وضعه أم لا .

هذه التواليف تدلنا على أنه كان يُعنى بالأدب والأخبار والتاريخ ، ولم تصلنا كتبه الأدبية ، والأغلب أنها كانت تقوم على الجمع . على أننا نحسّ ، من ثنايا الجزء السادس ، أنه كان يتذوّق الشعر ، ويُحسن انتقاءه . فهو يعلّق أحياناً على بعض الأشعار بعبارات جيدة ، وهو ينتقى لبعض الشعراء مقطعات رائعة .

ولقد وصل إلينا التاريخان اللذان وضعهما . فلنتكلم عنه مؤرخاً ، بالاستناد إليهما ، وخاصة الجزء السادس والتاسع من تاريخه الكبير .

* * *

نلاحظ ، فى تتبع كنز الدرر ، أن ابن الدوادارى جمّاع فى الأجزاء التى سبقت عصره ، مؤلّف فى الحوادث التى عاصرها ورآها .

ويقول فى مقدمته عن تاريخه : « . . انتخبتُه وانتقيتُه ، وغربلتُه ونقّيتُه ، من تواريخ رئيسة ، وكتب نفيسة ، فعاد كالحديقة المشرقة ، ذات أشجار مورقة . . ونوادر ملهية ، ومضاحك هزلية ، وملح شهيّة ، ورقائق مبكية ، وأهاجي منكية ، ومدائح زكية ، وحكايات مليحة ، . . . فلما كملت مسوّداته ، ونجزت آياته ، ألفت كل واقعة فى زمانها ، وما جرية فى أوانها ، وأقمته تاريخاً غريب المثال ، كثير الحكم والأمثال . ولخّصتُ من تواريخ الجمع ما ينزّه الناظر ويشنف السمع ، يتضمّن من فوائد الجد ، ونوادر الهزل ، وفوائد النثر ، وقلائد النظم ما يملأ البصر نورا ، ، والقلب سرورا . . .

فنلاحظ أن ابن الدوادارى عمد بادئ بدء إلى « التقميش » أو « الجمع » ، وإلى « التلخيص » ، كما نلاحظ أن غايته فى تاريخه إرضاء القارئ

وتسليته ، لذلك حشد فيه النوادر والمضاحك والملح والرقائق والأهاجي والمدائح والحكايات .

أما في القسم الذي عاش فيه وأرّخه فنجده مؤرخاً من الطراز الأول ، كثير الملاحظة ، يسوق أكثر ما يمكن من تفصيلات ، وخاصة فيما رآه هو نفسه أو شارك فيه . وهو يقص ، بحرارة وصدق ، الحوادث التي رآها وأثرت في نفسه . ولا شك أنه في هذا القسم من أثمن المراجع التي يُرجع إليها لتأريخ المماليك . غير أن أسلوبه عامي فيما ينشئه هو بنفسه ، في أغلب الأحايين : يستعمل اللغة العامية ، وتراكيبها ، وألفاظها ، وقد يخلطها باللغة الفصحي ، المسجوعة ، مما حفظه من الكتب . فيأتي من ذلك أسلوب عجيب ، يفصح مرة ، ويسفل أخرى .

وقد ألّف تاريخين : الأول هو « كنز الدرر » ، والثاني « درر التيجان » . جعل الأول في تسع مجلّدات ، وهو يدخل في إطار التواريخ العامة ، منذ مبدإ الخليقة إلى عصر المؤلف . وقد جعل كل جزء يختص بدولة واختصّ كلّ جزء باسمين خاص وعام . ويعتقد أن عمله هذا لم يُسبق إليه . فالاسمان الفرعيان الأولّ يتعلّق بفلك من أفلاك السماء القسع ، والثاني يتعلّق بموضوع الكتاب . وإذ كان الاسم العام « كنز الدرر » فقد جعل عنوان الكتاب الفرعي الثاني درّة دائماً . لأن الكنز كله درر .

وهنا هى أسماء الأجزاء :

١ — نزهة البشر من قسمة فلك القمر وهو :

الدرّة العليا فى أخبار بدو الدنيا

٢ — غلّة الوارد من قسمة فلك عطارد وهو :

الدرة اليتيمة فى أخبار الأمم القديمة

٣ — المشرّف بالقدرة من قسمة فلك الزهرة وهو :

الدر الثمين فى أخبار سيد المرسلين

٤ — بغية النفس من قسمة فلك الشمس وهو :

الدرة المسمّية فى أخبار الدولة الأموية

٥ — الذى كلُّ سمعٍ له مصيخ من قسمة المريخ وهو :

الدرة السنية فى أخبار الدولة العباسية

٦ — الفائق صحاح الجوهرى من قسمة فلك المشترى وهو :

الدرّة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية

٧ — شهد النحل من قسمة فلك زُحل وهو :

الدر المطلوب فى أخبار دولة بنى أيوب

٨ — زهر المروج من قسمة فلك البروج وهو :

الدرة الزكية فى أخبار دولة الملوك التركية

٩ – الجوهر الأنفس من قسمة الفلك الأطلس وهو :

الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر

ويحدثنا أنه جمع مواده أولاً وسوّده ، ابتدأه سنة ٧٠٩ هـ ، أى قبل أن ينتقل إلى دمشق مع أبيه . ثم أخذ ينسخه ويبيّضه ويعيد النظر فيه جزءاً جزءاً .

وقد وقف فى حوادث تاريخه عند سنة ٧٣٥ هـ . وفرغ من الجزء الآخر فى مستهل سنة ست وثلاثين . فيكون قضى فى جمعه وكتابته سبعاً وعشرين سنة .

والتاريخ الثانى الذى ألفه ابن أيبك هو درر التيجان وغرر تواريخ الزمان . وهو تاريخ عام مختصر فى مجلد واحد . بدأه من زمن آدم ، ثم تكلم على الأنبياء ، وعلى عصر الجاهلية ، وبدأ بذكر الحوادث منذ بدء الإسلام ، سنة فسنة ، وانتهى إلى سنة ٧١٠ هـ . وقد أضاف فيه إلى ذكر الحوادث تراجم الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء والأطباء . بخلاف الأوّل ، فقد جعله للحوادث والدول .

وقد وصل إلينا التاريخان ، والأول بخط المؤلّف .

ونعتقد أن كل جزء من أجزاء التاريخ الكبير ، يحتاج إلى دراسة خاصة ونقد داخلى .

لذلك سنقصر الكلام هنا على المجلد الذى نقدمه وهو الجزء السادس المتعلق بالدولة الفاطمية .

* * *

الدرّة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية

هذا هو الجزء السادس من « كنز الدرر » . عنوانه الفرعى الأول : « الفائق صحاح الجوهرى من قسمة فلك المشترى » ، وعنوانه الثانى « الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية » .

وهو يختص بذكر الخلفاء الفاطميين بمصر ، والدول المنقطعة والمتصلة التى قامت أثناء دولتهم .

بدأ بحوادث سنة ٣٥٩ هـ (ص ١٢٠) ودخول جوهر القائد إلى مصر . وتابع ذكر الحوادث إلى سنة ٥٥٤ هـ .

وتكلم على الدعوة الفاطمية بالتفصيل ، وعلى القرامطة ، والأغالبة ، وبنى حمدان ، والسلاجقة ، وملوك البويهيين ، والسامانيين ، والصليحيين باليمن .

استمد موادّه من مصادر أغلبها مفقود . نذكرها فيما يلى :

١ — كتاب الشريف أبى الحسين أخى محسن فى أصل الفاطميين (ص ٦) .

٢ — تاريخ القيروان (ص ٤، ٢٩٩).

٣ — تحفة القصر فى عجائب مصر للعاضد الفاطمى (ص ٣٦٣)، ٣٥٢ .

٤ — تاريخ القاضى ابن خلكان (ص ١٤٥)

٥ — تاريخ مصر لابن زولاق (ص ٤)

٦ — الروضة البهيّة فى خطط القاهرة المعزيّة لابن عبد الظاهر (ص ١٣٥)

٧ — أخبار الشام لعلى بن محمد بن يحيى السلمى السميساطى، أبو القاسم، إلى سنة ٣٩٥ هـ (ص ٢٧٢)

٨ — دمية القصر (ص ٢٨٣)

٩ — تاريخ ابن دحية (ص ٢٩٨)

١٠ — حلّ الرموز فى علم الكنوز (ص ٣٠١)

١١ — سيرة الحاكم لمجهول (ص ٣٠٢)

١٢ — رسائل أبى القاسم الوزير المغربى (ص ٣١٢)

١٣ — تاريخ بغداد، لم يذكر مؤلفه (ص ٣٢٨، ٣٣٦)

١٤ — كتاب قبطى وجده بالدير الأبيض بالوجه القبلى واستنسخ منه (ص ٣٥٣)

١٥ – خريدة القصر للعماد (ص ٤٠٩)

١٦ – السيل والذيل للعماد (ص ٤٢١)

١٧ – سيرة السلطان صلاح الدين لابن شدّاد (ص ٤٢٢)

١٨ – مفرج الكروب لابن واصل .

١٩ – كتاب جنى النحل [لابن سعيد] (ص ٤٣٧)

٢٠ – سير التاريخ لعلى بن منجب (ص ١١١)

٢١ – سيرة السلطان صلاح الدين لابن شدّاد (ص ٤٢٢)

والكثير الغالب من هذه المصادر مفقود (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠) والباقى مطبوع أو مخطوط (٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١) . والمفقود منها ذو شأن كبير ، وما نجده من بعض نصوصها فى مصادر أخرى قليل .

ومن المفيد أن ننوه هنا بأحد هذه المصادر المفقودة التى نقلها ابن الدوادارى فى هذا الجزء السادس ، وهو « أخبار الشام » للسميساطى . فقد سرد منه حوادث دمشق فى زمن الفاطميين وكنا لا نعرف كتاباً يتعلّق بهذه الفترة فى تاريخ دمشق إلا تاريخ القلانسى : فكان المصدر الوحيد عن دمشق الفاطمية . أما كتاب السميساطى هذا فلم نعثر له من قبل على خبر . وما نقله منه يؤكد أو يعدّل الأخبار التى رواها القلانسى ،

وتوفى السيساطى سنة ٤٥٣ هـ ، وهو واقف الخانقاه السيساطية بدمشق ومن تلاميذ الخطيب البغدادى فيها .

وسيكون هذا الجزء من تاريخ ابن الدوادارى بعد اليوم من مصادر تأريخ دمشق أيضاً .

وواضح أن هذه المصادر المفقودة المهمّة ، هى التى تجعل لهذا الجزء شأنا وقيمة ، رغم العاميّة التى يتصف بها صاحبه .

* * *

ويعتمد المؤلف على التلخيص إلى حدّ كبير ، فهو يذكر فى كل سنة « ما لُخِّص من الحوادث » ، كما يذكر تلخيصه الأخبار عن المؤرّخين .

وقد أردنا أن نبيّن قيمة هذا التلخيص . فرجعنا إلى نصوص الكتب المطبوعة التى نقل منها ، وعارضناها بما جاء عن ابن الدوادارى ، وقد لفت نظرنا أنه يلخص تلخيصاً مخلاً ، أحياناً كثيرة ، ولا يتقيّد بنص الأصل وألفاظه . وأنه يوجز حتى يُضيع بعض تفصيلات الحوادث . وقد أشرنا إلى بعض ذلك فى حواشينا ، وخاصة فيما نقله عن مفرج الكروب وابن خلّكان .

ولاحظنا أيضاً أنه فى النصوص التى ينقلها كثيراً ما يخطئ فى أسماء الأعلام ، أو الأماكن ، مما يدلّ على أنه لم يكن على علم بها .

* * *

ولنر الآن نهجه فى كتابه :

يعنى ابن الدوادارى بذكر قياس ماء النيل كل سنة . ولا ندرى المصدر الذى أخذ عنه . وقد قايسناه بما جاء عند ابن تغرى بردى ، فوجدنا اتفاقاً كبيراً ، ووجدنا اختلافاً بعض الأحايين . ولعلهما أخذا عن مصدرين مختلفين . ولا نعتقد أن ابن تغرى بردى نقل عن ابن أيبك ، وهو المتقدم .

على أننا نلاحظ أن المؤلف سينقطع عن ذكر ارتفاع النيل فى الجزء التاسع . وقد ترك فى المخطوطة مكان مقدار الارتفاع بياضاً ، بانتظار مصدر ينقل عنه .

ثم يذكر ما لخص من الحوادث ، فيبدأ بذكر خليفة المسلمين فى بغداد ومدبرى الأمر حوله ، ثم خليفة مصر ومدبرى الأمر من حوله ، ثم ما وقع فى جميع الأقطار من حوادث .

وعندما يأتى ذكر دولة من الدول المنقطعة ، أو اسم صاحب من أصحاب الدعوات ، كالقرامطة وغيرهم ، فإنه يذكر الدولة أو الدعوة بالتفصيل حتى ولو تجاوزت سنو تاريخها السنة التى هو فيها . وذلك

حتى يكون عند القارئ فصلاً قائماً بنفسه كاملاً عن الدولة أو عن الدعوة .

على أن أسلوب كتابته التاريخ يدلنا على أنه كان متأدباً لكنه ضعيف الثقافة ، وخاصة بآلات اللغة العربية ، فهو يقتبس أحياناً كثيراً من الجمل الفصيحة الرائعة ، قد يكون حَفظَها من قراءاته ، ثم ما تلبث أن نجد جملاً ركيكة جداً ، وألفاظاً وتراكيب عامية ، ونجده يخطىء في النحو أخطاء كثيرة ، ويكثر من لغة « أكلونى البراغيث » ، وكذلك يخطىء في رسم الكلمات لأن النسخة التى وصلت إلينا من التاريخ هى بخطّه .

وإذا قايسنا ابن الدوادارى بالمؤرخين المعاصرين له ، فى القرن الثامن كالبرزالى ، وابن كثير ، والذهبى ، والصفدى ، وابن الجزرى ، والقطب اليونينى ، وابن شاكر الكتبى ، والحسينى ، والسبكى ، وجدناه دونهم بمراحل ، من حيث أسلوبه وعبارته ، وتلخيصه . فتاريخ ابن أيبك ، على ما ظهر لنا من الجزء السادس الذى ننشره والتاسع المطبوع ، تاريخ أقرب إلى الأسلوب العامى أحياناً من الأسلوب الفصيح ، وقد يفيد أحياناً ، من هذه الناحية ، لمعرفة اللغة العامية العربية فى القرن الثامن فى دمشق والقاهرة ، حيث عاش المؤلف .

وصف المخطوطة

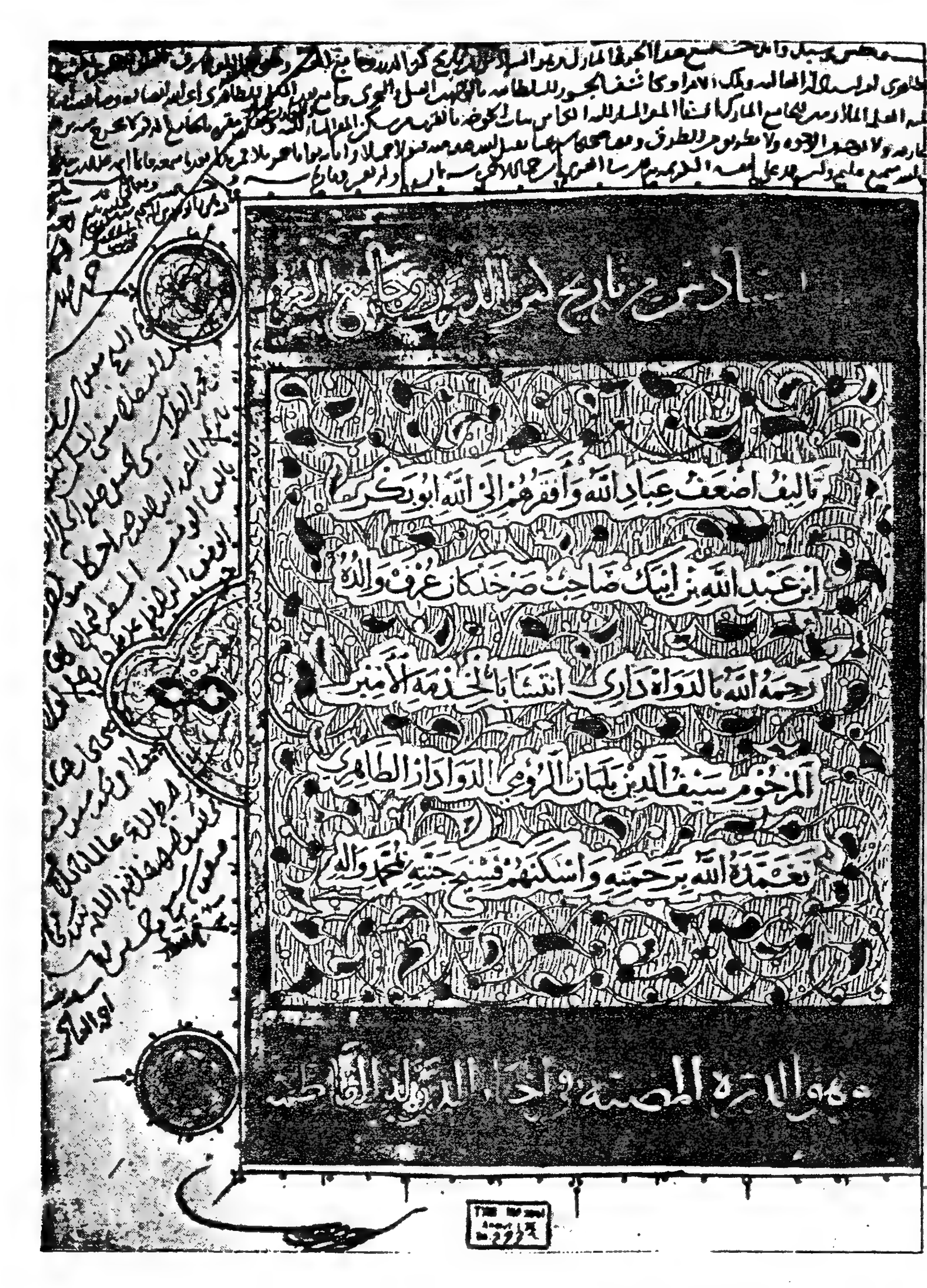
الجزء الذى ننشره مكتوب بخط المصنف ، كسائر أجزاء كنز الدرر ، ومحفوظ فى مكتبة أحمد الثالث باستنبول برقم 6/2922 .

صوّره معهد المخطوطات العربية على ميكروفلم ، وهو محفوظ لديه برقم ٤١٣ تاريخ .

أثبت على الورقة الأولى داخل إطار مزخرف ، فى الأعلى :

الجزء السادس فى تاريخ كنز الدرر وجامع الغرر
تأليف أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله أبو بكر (كذا)
ابن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد ، كان ، عرف والده
رحمه الله بالدوادارى ، انتساباً لخدمة الأمر
المرحوم سيف الدين بلبان الرومى ، الدوادارى الظاهرى
تغمّده الله برحمته ، وأسكنهم فسيحة جنته بمحمد وآله
وهو الدرّة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية .

على هامش الإطار فى الأعلى والأيسر نصّ وقفيّة نسخة التاريخ هذه كلها على مسجد الزينى بالقاهرة وهذا نصها :



تأليف أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله أبو بكر
ابن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد كان عرف والده
رحمه الله بالدواداري انتسابا لخدمة الأمير
المرحوم سيف الدين بلبان الرومي الدوادار الظاهري
تغمده الله برحمته وأسكنهم فسيح جنته بمحمد وآله

صورة الورقة الأولى من المخطوط

انتهى الكلام في ذكر الشعراء المذكورين المخضرمين بهذا
الجزء وتمامه بحمد الله وله الحمد والمنة والطول وبه القوة والحول
بخط يد واضعه ومصنفه وجامعه ومؤلفه اضعف
خلق الله وافقرهم الى رحمته ابو بكر عبد الله [illegible]
نسبته [illegible] غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه وتجاوز عن كل
خطأ يراه وكفاه الملك [illegible]
وكان الفراغ من نسخه اخر يوم الاحد العشرين من شهر جمادى الآخرة
سنة اربع وثلثين وسبع مائة الهجرية على صاحبها السلام
احسن الله تقضيها بخير [illegible] وتجاوز عليه والاجور [illegible]
وهو حسبي ونعم الوكيل

بلغ نفرا من [illegible]

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

الحمد لله رب العالمين

وقف وحبس وسبّل وأبّد جميع هـذا الجزء المبارك وهو السادس من تاريخ كنز الدرر وجامع الغرر ... ... المقر الأشرف العالى ... ... يحيى الظاهرى آمر استاد الدار العالية وملك الأمراء وكاشف الجسـور السلطانية بالوجهين القبلى والبحرى ... ... الظاهرى أعزّ الله أنصاره وضاعف ... ... على طلبة العلم الملازمين للجامع المبارك إنشاء المقرّ المشار إليه الـكائن بباب الخوخة بالقرب من سكن المقرّ المشار إليـه . وجعل مقرّه بالجامع المذكور لا يخرج منه برهن ولا عاريةٍ ولا بوجه من الوجوه ولا بطريق من الطُّرُق . وقفاً صحيحاً شرعيًّا ، تقبل الله ذلك منه قبولاً جميلاً ، وأثابه ثواباً جزيلاً ، ﴿ فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه . إنّ الله سميع عليم ﴾ . وأشهد على نفسه الـكريمة بذلك فى العشرين من جمادى الآخرة سـنة ثمان وأربعين وثمانمائة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وتحت ذلك توقيع مَنْ شهد عليه .

وتحته تثبيت للوقف المذكور عند الحاكم الحنفى بمصر سنة ٨٥٧ هـ .

وواقف هذا الجزء ترجم له السخاوى فى الضوء (١٠/٢٣٣) وابن إياس (٢/١١٤) واسمه يحيى بن عبـد الرزاق الزينى القبطى الاستادار

المعروف بالأشقر . وقد ذكر السخاوى « أنه بنى مدرسة بجانب بيته الذى عمله بالقرب من المدرسة الفخرية بين السورين بالغ فى شأنها ووقف فيها كتباً هائلة » . وتوفى سنة ٨٧٤ هـ . وكان بناؤه المسجد سنة ٨٤٨ هـ .

وما تزال هذه المدرسة (أو المسجد) قائمة . وقد وصفها حسن عبد الوهاب فى تاريخ المساجد الأثرية ص ٢٣٤ . ويكون إيقاف الكتاب كما تدل الوقفيّة فى سنة إتمام بناء المسجد .

وجاء فى آخر ورقة منه :

انتهى الكلام فى ذكر الشعراء المذكورين المختصين بهذا الجزء وبتمامهم نجز ولله الحمد والمنة والطول ، وبه القوّة والحول ، بخط يد واضعه ومصنفه وجامعه ومألفه (كذا) أضعف خلق الله وأفقرهم إلى رحمته أبو (كذا) بكر بن عبد الله الدوادارى المقدم ذكر نسبته فى أوّله ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأه وتجاوز عن كل خطأ يراه ، ولكافة المسلمين أجمعين .

وكان الفراغ من نسخه آخر يوم الأحد العشرين من شهر جمادى الآخرى سنة أربع وثلاثين وسبع ماية الهجرية على صاحبها السلام . أحسن الله نقصها بخير إنه ولىّ ذلك وقادر عليه والأمور مبتدأها منه ومصيرها إليه وهو حسبى ونعم الوكيل . بلغ نظراً من المصنف عفا الله عنه

يقع هذا الجزء فى ٣٢٩ صفحة .

فى الصفحة ٢١ سطراً .

كتب بخط نسخى ، تنقص من كلماته النقط أحياناً .

العنوانات (السنوات ، ما لخص من الحوادث ، الفصول) كتبت بخط أغلظ وبحبر أحمر .

أضاف المؤلف بخطه فى الحواشى إضافات كثيرة نقلها من بعض كتب التاريخ ، وهذه الحواشى واضحة فى القسم الأخير من الجزء ، إذ أضاف فيها ما أخذه عن ابن واصل .

رسم الكلمات جدير بأن ننوه به . فقد ذكرنا أن فيه كثيراً من الخطأ . وقد جزمنا بأنه خطأ لأن هذا الرسم يخالف الرسم الذى نجده فى سائر مخطوطات القرن الثامن . لذلك لا فائدة من سرد أنموذجات منه تكون أساساً للدراسة ، لأنه ليس رسم العصر . وقد أشار الأستاذ روس فى مقدمته إلى بعض مزايا الرسم عند المؤلف .

نهج التحقيق

المعروف فى قواعد تحقيق النصوص أن المخطوطة التى يُعثر عليها مكتوبة بخط المؤلف ينبغى أن تثبت كما وصلت إلينا دون تبديل فى نصها أو تصحيح ، ذلك لأنها صورة عن ثقافة المؤلف وروحه. ويكون عمل المحقق أن ينبه إلى الخطأ ، أو يصحّح ما يحتاج إلى تصحيح فى الحواشى .

لذلك حاولنا أن نطبق النهج الصحيح الموضوع لمثل هذه الحالات . فاتبعنا ما يلى :

١ — أثبتنا النص كما ورد فى المخطوط بأخطائه اللغوية والنحوية ، على كثرتها . وأشرنا فى الحاشية إلى صحة كلّ لفظ ، أو اتبعنا اللفظ بكلمة (كذا) إذا كان الخطأ فيه واضحاً جداً أو غير مفهوم ، وبذلك يستطيع القارئ أن يقرأ المؤلِّف بتراكيبه وألفاظه ، كما كتبها .

٢ — أخطأ المؤلف فى رسم الكلمات فى بعض أحايين . ولما كان الرسم يتبدّل بتبدّل العصور ، وليس من فائدة من إثبات الرسم الخطأ لأنه يخالف لرسم أيامنا ، فقد صححنا الرسم ، على ما هو جارٍ اليوم . واكتفينا بالتنويه بذلك عند ما وصفنا المخطوطة ، حتى يكون لدى القارئ فكرة عن ثقافة المؤلف فى علم الخط والرسم .

٣ — تخفيف الهمز فى الكلمات أثبتناه كما ورد ، على أننا أحياناً

أثبتنا الهمز عندما لا يؤثر ذلك فى تبديل مفهوم اللفظ ، أو بعده عن العامية .

٤ — نقل المؤلّف نصوصاً كثيرة من كتب وصل بعضها إلينا وفُقد البعض الآخر . وقد عارضنا النصوص التى وصلت إلينا بما ذكره المؤلف . وقوّمنا هذه النصوص حسبما وردت فى مصادرها الأصلية ، إلاّ عندما يكون النقل جزئياً ، أو اختصاراً ، فعندئذ أحلنا على المصدر ونوّهنا أن نصّ المؤلف لا يوافق نصّ الأصل ، أو أن اختصاره مُخلّ ، وقد نضيف إلى نص المؤلف ألفاظًا من المصدر الذى نقل منه ، عندما يكون نص المؤلف مبهمًا ، وأحيانًا تثبت نص الأصل بلفظه فى الحاشية عندما يصعب تقديم نص المؤلف .

٥ — صححنا فى الحواشى أسماء الأعلام والأماكن التى أخطأ المؤلف فيها .

٦ — ورد فى الكتاب أشعار كثيرة ، وخاصة من مدائح الفاطميين . ولم نجد الكثير منها فى المصادر التى بين أيدينا ، وهذا من مزايا الكتاب . وقد عارضنا ما وجدناه منها بالدواوين أو كتب الأدب ، وأشرنا إلى اختلاف الروايات . ومن المؤسف أن المؤلف لم يذكر المصادر التى نقل منها هذه الأشعار . ولقد نقل فى آخر الكتاب كثيراً من المرقص والمطرب لابن سعيد لكنه لم يذكر اسمه . وقد رجعنا إلى

المرقص والدمية والخريدة واليتيمة وتتمة اليتيمة وغيرها وعارضنا ما ورد في كتابنا من أشعار وردت فيها ، وصححناها أحيانًا دون الإشارة إلى ذلك .

٧ — عارضنا أحيانًا ، نصوص المؤلف المتعلّقة بالحوادث والوفيات ، بما جاء عنها في المصادر التأريخية الأخرى . لنتأكد من صحتها . وأثبتنا في الحاشية الاختلاف ، أو أحلنا على المصادر الثانية ليرى القارئ الاختلاف .

٨ — أتبعنا النص بفهارس منوّعة للأعلام — ويدخل فيها القبائل والأمم والدول والفرق — وللأماكن ، وللألفاظ الاصطلاحية .

ونرجو أن يفيد العلماء والباحثون من هذا الجزء ، فإن فيه موادّ كثيرة لها شأنها . كما نرجو من يجد خطأ في عملنا أن ينبهنا إليه .

يوليو ١٩٦٠

المحقق

l'auteur ne concorde pas avec le texte original ou que son résumé n'est pas fidèle. Lorsque le texte de l'auteur est obscur, nous l'avons complété en y ajoutant des mots empruntés à la source qu'il cite. Parfois enfin, lorsqu'il était difficile de présenter tel quel le texte de l'auteur, nous avons reproduit en note textuellement l'original.

5. Nous avons corrigé en note les noms propres de personnes et de lieux déformés par l'auteur.

6. L'ouvrage cite de nombreux poèmes, célébrant notamment les louanges des Fatimides. Nous n'avons pu retrouver qu'un petit nombre d'entre eux dans les sources qui sont à notre disposition ; c'est d'ailleurs ce qui fait en partie l'intérêt du *Trésor des perles*. Chaque fois qu'une comparaison s'est avérée possible, nous l'avons faite, en indiquant en note les variantes. Malheureusement, l'auteur ne mentionne pas les sources où il a puisé ces poèmes ; ainsi est-ce sans le nommer qu'il utilise abondamment Ibn Saʿīd à la fin du livre. Nous avons donc parcouru les anthologies (le *Morqiṣ*, la *Domya,* la *Kharīda,* la *Yatīma* et son supplément, etc.) comparant les extraits communs à ces ouvrages et au nôtre, ce qui nous a permis d'apporter çà et là, sans les indiquer, certaines corrections.

7. Il nous est arrivé de comparer les textes de l'auteur ayant trait aux événements avec leurs parallèles avec les autres sources historiques, afin de nous assurer de leur exactitude. En cas de divergences, nous les avons signalées en note, nous contentant parfois de renvoyer le lecteur aux autres sources pour qu'il en mesure l'étendue par lui-même.

8. Nous avons adjoint au texte trois index concernant respectivement les noms de personnes (en y incluant les noms de tribus, de peuples, de dynasties et de sectes), les noms de lieux et les termes techniques.

Nous espérons que savants et chercheurs tireront profit de cette sixième partie du *Trésor des perles ;* elle rassemble en effet de nombreux matériaux de valeur. Au cas où l'un d'entre eux trouverait quelque erreur dans notre travail, nous lui serions reconnaissants d'avoir l'obligeance de nous la signaler.

Juillet 1960.

Al-Munajjed.

étude, car elle n'est aucunement représentative de l'époque. Si l'on en veut des exemples, on pourra se reporter à l'introduction du Professeur Roemer qui en a relevé certaines particularités.

*
* *

Méthode d'établissement du texte.

Une règle bien connue de l'établissement des textes veut que lorsqu'on a affaire à un manuscrit autographe on le publie tel quel, sans en modifier ni en corriger la teneur, car elle reflète la culture et l'esprit de l'auteur. L'éditeur doit se contenter de signaler en note les fautes éventuelles et de suggérer les corrections qu'il conviendrait de leur apporter.

Aussi avons-nous essayé d'appliquer ici la vraie méthode convenant aux manuscrits tels que le nôtre. En conséquence, nous avons suivi les règles que voici :

1. Nous avons maintenu le texte dans l'état où il se présente dans le manuscrit, avec ses nombreuses fautes morphologiques et grammaticales, de manière à permettre au lecteur d'être en contact immédiat avec l'auteur, son vocabulaire et sa façon de construire les phrases. Nous avons indiqué en note l'état correct de chaque mot, sauf lorsque la faute n'est pas trop évidente ou l'expression privée de sens ; dans ce cas, nous l'avons fait suivre du terme *kadhā, sic,* entre parenthèses.

2. Parfois l'auteur a fait des fautes d'orthographe. La façon d'écrire les mots ayant changé au cours des âges et le maintien d'une orthographe actuellement fautive ne présentant aucun avantage, nous avons corrigé l'orthographe en adoptant l'usage courant à notre époque. Nous nous sommes contentés d'avertir le lecteur lors de la description du manuscrit, afin qu'il ait une idée de la culture de l'auteur en matière d'écriture et d'orthographe.

3. En général, nous avons maintenu la suppression des hamzas, bien que nous les ayons parfois rétablis là où cette modification n'influait en rien sur le sens du mot ou sur sa distance par rapport à la langue vulgaire.

4. L'auteur a cité de nombreux textes empruntés à des ouvrages dont certains sont parvenus jusqu'à nous et certains sont actuellement perdus. Dans le premier cas, après comparaison entre les citations et le texte original, nous avons adopté celui-ci, sauf lorsque notre auteur n'a fait que résumer ou citer de façon partielle. Quand il en est ainsi, nous avons renvoyé à la source en notant que le texte de

L'Institut des Manuscrits arabes en a pris un microfilm, qui figure dans sa filmothèque sous le numéro 413 *tārīkh*.

Le titre est donné en tête du premier folio, inscrit dans un cadre d'or. Il est ainsi libellé :

« Sixième partie de l'Histoire intitulée *Le trésor des perles et le recueil des nouvelles lunes*, œuvre du plus faible des serviteurs de Dieu, ayant le plus besoin de Lui, Abū Bakr ibn ʿAbdallāh ibn Aybak gouverneur de Ṣarkhad, dont le père était connu sous le nom d'al-Dawādārī (que Dieu le prenne en pitié !), pour avoir été au service de feu l'émir Sayf-al-Dīn Balabān al-Rūmī al-Dawādārī al-Ẓāhirī (que Dieu les couvre de sa miséricorde et les fasse habiter son spacieux Jardin avec Moḥammad et sa famille !). C'est *La perle brillante ayant trait aux informations concernant l'empire fatimide* ».

En marge du cadre, en haut et à gauche, on peut lire le texte de l'acte constituant en bien *waqf* le manuscrit de l'Histoire en son entier, au bénéfice de la mosquée d'al-Zaynī au Caire. Il est daté du 20 jomādā II 848/4 octobre 1444. L'auteur du *waqf* nous est connu grâce à Sakhāwī (*Ḍaw'*, 10/233) et à Ibn Iyās (2/114). Il s'agit de Yaḥyā ibn ʿAbd-al-Razzāq al-Zaynī al-Qibṭī al-Ostādār, connu sous le sobriquet d'al-Ashqar, le Roux. Mort en 874 H./1469, c'est lui qui avait fait construire la mosquée en question l'année même où il la gratifia du manuscrit. Cette mosquée existe encore à l'heure actuelle ; elle a été décrite par Ḥasan ʿAbd-al-Wahhāb dans son *Histoire des mosquées historiques* (p. 234).

Le dernier folio est signé et daté : le texte a été écrit par l'auteur, de sa propre main. La rédaction s'est achevée en fin de journée, le dimanche 20 jomādā II 734 H./6 juin 1334.

Cette sixième partie couvre 329 pages, de 21 lignes chacune. L'écriture est de style naskhī. Les points diacritiques sont parfois manquants. Les titres sont tracés à l'encre rouge, en plus gros caractères. En marge, l'auteur a ajouté de nombreux extraits empruntés à divers livres d'histoire ; ces additions sont faciles à déchiffrer dans la dernière section, où elles citent Ibn Wāṣil.

Il importe enfin d'attirer l'attention sur l'orthographe, dont nous avons signalé plus haut qu'elle était souvent fautive. Pour porter ce jugement, nous nous appuyons sur le fait que l'orthographe d'Ibn al-Dawādārī ne se retrouve chez aucun de ses contemporains. Il est donc sans intérêt d'en faire le fondement d'une

d'Ibn Taghrī-Birdī; il leur arrive cependant de diverger. Sans doute ont-ils puisé à des sources différentes, car il est peu probable qu'Ibn Taghrī-Birdī ait utilisé notre auteur.

Notons à ce propos qu'Abū Bakr omettra de mentionner la hauteur de la crue dans la neuvième partie. En attendant sans doute de trouver quelque ouvrage qui le renseignât, il a laissé la place en blanc dans son manuscrit.

L'auteur passe ensuite aux événements dont il a fait le choix. Commençant par mentionner le calife de Baghdad et les grands de son entourage, il fait de même ensuite pour le calife d'Egypte, puis décrit les événements qui se sont produits au cours de l'année dans les divers pays.

Lorsqu'il vient à parler de quelque état indépendant ou d'un mouvement comme celui des Carmates, il le fait de façon détaillée, indépendamment de l'année dont il est censé décrire les événements. On a ainsi des excursus qui constituent autant de monographies ayant valeur pour elles-mêmes.

A en juger d'après le style de l'ouvrage, Ibn al-Dawādārī était instruit mais peu cultivé. Il insère souvent dans son texte des périodes d'un bel arabe, où il faut voir sans doute des réminiscences de ses lectures. Mais des phrases d'une langue extrêmement faible ne tardent pas à leur succéder, avec des termes et des constructions vulgaires, des fautes de grammaire notamment dans l'accord des verbes, sans compter les fautes d'orthographe qui parsèment le manuscrit écrit de sa propre main.

Si nous le comparons aux autres historiens du VIII^e^/XIV^e^ siècle, tels que Birzālī, Ibn Kathīr, Dhahabī, Ṣafadī, Ibn al-Jazarī, al-Qoṭb al-Yūnīnī, Ibn Shākir al-Kotobī, Ḥosaynī ou Sobkī, il apparaît bien inférieur au point de vue du style, de l'expression et de la façon de résumer. A en juger d'après la sixième et la neuvième partie, le style de son Histoire est parfois plus proche de l'arabe dialectal que de la langue littéraire. Mais peut-être cela confère-t-il au *Trésor des perles* un intérêt de surcroît, faisant de l'ouvrage un document pour la connaissance du langage parlé au Caire et à Damas au VIII^e^ siècle de l'Hégire.

*
* *

Description du manuscrit.

Comme le reste du *Trésor des Perles,* la partie que nous publions a été écrite de la main même de l'auteur et se trouve conservée à Istamboul, dans la bibliothèque d'Ahmet III, sous le numéro 6/2922.

ou encore à l'état manuscrit (4, 8, 9, 12, 15, 17, 18). Les sources perdues sont d'un grand intérêt et l'on n'en rencontre que de rares extraits cités dans d'autres ouvrages.

A titre d'exemple particulièrement remarquable, nous voudrions attirer l'attention sur l'une d'entre elles, les *Akhbār al-Shām* de Somaysāṭī, utilisée par Ibn al-Dawādārī pour ce qui concerne Damas au temps des Fatimides. Jusqu'ici, seule l'Histoire de Qalānisī nous renseignait à ce sujet. Nous ignorions totalement l'ouvrage de Somaysāṭī, disciple d'al-Khaṭīb al-Baghdādī, mort en 453 H./1061. Les extraits cités dans le *Trésor des perles* viennent désormais confirmer ou parfois rectifier les renseignements donnés par Qalānisī.

C'est l'utilisation de telles sources importantes, actuellement perdues, qui fait la valeur de cette sixième partie, malgré l'emploi de la langue vulgaire qui caractérise son auteur.

*
* *

L'auteur fait délibérément son choix tant parmi les événements rapportés que parmi les renseignements puisés chez les historiens.

Voulant voir dans quelle mesure il a ainsi résumé ses sources, nous avons comparé son texte à celui des ouvrages cités actuellement imprimés. Nous avons abouti aux conclusions suivantes :

1. Ibn al-Dawādārī résume souvent ses sources de façon peu fidèle, n'hésitant pas à prendre des libertés avec la lettre du texte original.
2. Il lui arrive de résumer le texte au point de laisser tomber certains détails des événements rapportés. Nous avons signalé parfois le fait en note, surtout pour les citations du *Mofarriǧ al-korūb* et d'Ibn Khallikān.
3. En cours de transcription, il lui arrive souvent d'estropier les noms propres de personnes ou de lieux, ce qui prouve qu'il ne les connaissait pas.

*
* *

Voyons maintenant la méthode utilisée par l'auteur dans la composition du *Trésor des Perles*.

Ibn al-Dawādārī a d'abord soin de noter chaque année la hauteur de la crue du Nil. Les renseignements qu'il donne à ce sujet coïncident généralement avec ceux

Elle est consacrée aux califes fatimides d'Egypte et aux divers états existant sous leur règne. Commençant (p. 120) avec les événements de l'an 359 H./1163 et l'entrée en Egypte du général Jawhar, l'auteur y poursuit son histoire jusqu'à l'année 554 H./1159. Il y parle en détail de la propagande fatimide, des Carmates, des Aghlabides, des Hamdanides, des Seldjoukides, des Bouïdes, des Samanides et des Solaïhides du Yémen.

Ibn al-Dawādārī a puisé sa documentation à des sources dont la plupart sont actuellement perdues. En voici la liste :

1. L'ouvrage du chérif Abū-l-Ḥosayn akhī Moḥsin sur l'origine des Fatimides.
2. *Tārīkh al-Qayrawān* (p. 4 et 299).
3. *Toḥfat al-qaṣr fī ʿajā'ib Miṣr,* d'al-ʿAḍid al-Fāṭimī (p. 363).
4. *Tārīkh,* du cadi Ibn Khallikān (p. 145).
5. *Tārīkh Miṣr,* d'Ibn Zūlāq (p. 4).
6. *Al-Rawḍa al-bahiyya fī Khiṭaṭ al-Qāhira al-Moʿizziyya,* d'Ibn ʿAbd al-Ẓāhir (p. 135).
7. *Akhbār al-Shām,* de ʿAli ibn Moḥammad ibn Yaḥyā al-Solamī al-Somaysāṭī, Abū-l-Qāsim, jusqu'à l'année 395 H./1004 (p. 272).
8. *Domyat al-qaṣr* (p. 283).
9. *Tārīkh,* d'Ibn Diḥya (p. 298).
10. *Ḥall al-romūz fī ʿilm al-konūz* (p. 301).
11. *Sīrat al-Ḥākim d'un anonyme* (p. 302).
12. *Rasā'il Abī-l-Qāsim al-wazīr al-maghrabī* (p. 312).
13. *Tārīkh Baghdād,* sans mention d'auteur (p. 328 et 336).
14. Un livre copte trouvé au Monastère Blanc, en Haute-Egypte, dont Ibn al-Dawādārī recopia des extraits (p. 353).
15. *Kharīdat al-qaṣr,* d'al-ʿImād (p. 419).
16. *Al-sayl wa-l-dhayl,* d'al-ʿImad (p. 421).
17. *Sīrat al-sulṭān Ṣalāḥ-al-Dīn,* d'Ibn Shaddād (p. 422).
18. *Mofarrig̃ al-korūb,* d'Ibn Wāṣil.
19. *Kitāb janī al-naḥl,* d'Ibn Saʿīd (p. 437).
20. *Siyar al-Tārīkh,* de ʿAlī ibn Monjib (p. 111).

La plupart de ces sources ne sont pas parvenues jusqu'à nous (1, 2, 3, 5, 6, 7, 10, 11, 13, 14, 16, 19 et 20), les autres existant à l'heure actuelle, imprimées

4. Sphère du Soleil : la perle sublime concernant l'empire des Omeyyades.

5. Sphère de Mars : la perle magnifique concernant l'empire des Abbassides.

6. Sphère de Jupiter : la perle brillante concernant l'empire des Fatimides.

7. Sphère de Saturne : la perle recherchée concernant l'empire des Ayyoubides.

8. Sphère des constellations zodiacales : la perle pure concernant l'empire des rois turcs.

9. Sphère ambiante : la perle précieuse concernant la vie d'al-Malik al-Nāṣir.

L'auteur nous dit avoir commencé à rassembler ses matériaux et à rédiger au brouillon en l'an 709 H./1309, soit avant de partir pour Damas avec son père. Il lui fallut ensuite revoir son œuvre partie par partie et la mettre au propre, tâche qu'il acheva au début de l'année 736 H./1335. L'ensemble du travail lui prit donc trente-sept ans.

La seconde Histoire composée par Ibn al-Dawādārī a pour titre *Les Perles des couronnes et les premières lueurs des annales du Temps*. C'est un abrégé d'histoire générale, en un seul volume. Commençant par l'époque d'Adam, on y parle ensuite des prophètes et de la période anté-islamique; puis on y rapporte les événements, année par année, depuis les débuts de l'islam jusqu'à l'an 710 H./1310. A la description des événements, l'auteur ajoute des notices biographiques concernant les rois, les vizirs, les savants, les écrivains, les poètes et les médecins; c'est ce qui fait l'originalité de l'ouvrage par rapport au *Trésor des perles*.

Si nous avons le texte de ces deux œuvres, la première a l'avantage de nous être parvenue dans un manuscrit autographe de l'auteur.

Chaque partie de la grande Histoire mérite, à notre avis, d'être étudiée pour elle-même de façon critique. Aussi convient-il ici de nous étendre quelque peu sur celle dont nous présentons l'édition, à savoir la sixième partie, ayant trait à l'empire des Fatimides.

* * *

Le premier titre de cette sixième partie est ainsi libellé : *Ce qui surpasse le* Ṣaḥāḥ *de Jawharī dans le lot de la sphère de Jupiter*. Son second titre est le suivant : *La perle brillante concernant l'empire des Fatimides*.

* * *

Dans les parties du *Trésor des perles* ayant trait aux époques antérieures à la sienne, Ibn al-Dawādārī fait figure de compilateur. Il explique lui-même, dans la préface de son Histoire, la façon dont il a procédé : commençant par dépouiller les meilleurs ouvrages de ses prédécesseurs, il a soigneusement noté tout ce qui lui semblait particulièrement intéressant; puis il s'est efforcé de replacer chaque fait dans son contexte. C'est, nous dit-il, le souci de plaire au lecteur qui l'a guidé dans le choix des éléments à retenir, d'où la façon de mêler les vers à la prose, le sérieux à la plaisanterie, et de rapporter abondamment louanges, satyres et anecdotes.

Il n'en va pas de même lorsqu'il s'agit de son époque. Il se révèle ici un historien de premier ordre. Excellent observateur, il donne une profusion de détails, surtout lorsqu'il expose ce qu'il a vu ou ce à quoi il a participé. C'est avec chaleur et sincérité qu'il raconte les événements dont il a été témoin et qui l'ont impressionné. Sans aucun doute, il est alors l'une des sources les plus précieuses auxquelles on puisse se référer pour faire l'histoire des Mamelouks.

Le plus souvent, lorsqu'il compose de son propre cru, son style est celui du commun des gens : il emploie la langue de tous les jours, avec ses constructions et son vocabulaire. Il lui arrive cependant d'y mêler un langage littéraire ponctué d'assonances, réminiscence de ses lectures. Le résultat en est assez étrange, le style étant parfois vulgaire, parfois précieux.

Comme nous l'avons dit, Ibn al-Dawādārī nous a laissé deux ouvrages d'histoire : le *Trésor des perles* et les *Perles des couronnes*.

Le premier d'entre eux comprend neuf volumes et s'inscrit dans le cadre des histoires générales partant de la création du monde pour aboutir à l'époque de l'auteur. Chaque partie traite d'un empire et porte deux noms, le premier évoquant l'une des neuf sphères célestes et le second précisant le sujet traité. Le titre général du livre étant le *Trésor des perles*, chaque partie se trouve présentée, dans son second titre, comme une perle de qualité particulière. On a ainsi :

1. Sphère de la Lune : la perle la plus noble concernant le début du monde.
2. Sphère de Mercure : la perle sans pareille concernant les peuples d'antan.
3. Sphère de Vénus : la perle de prix concernant le Seigneur des Envoyés.

suivit son père à Damas où il fut intimement associé à ses fonctions, assistant notamment à ses entretiens avec les hommes d'Etat. Il lui arriva même d'être envoyé en Egypte incognito, afin d'informer le *mahmandār* sur les complots qui s'y tramaient. Que fit-il après la mort de son père? nous l'ignorons. Resta-t-il à Damas ou revint-il au Caire? Entra-t-il au service du gouvernement ou vécut-il à l'écart? Quoi qu'il en soit, il dut entretenir de bons rapports avec le sultan al-Nāṣir Moḥammad auquel il dédie son ouvrage et dont il célèbre les louanges, notamment au début de la septième partie. S'il faut en croire une indication du texte, il dut également renoncer aux fonctions gouvernementales pour s'adonner à la science et à la littérature.

*
* *

Après ces quelques indications biographiques, il convient d'aborder l'activité intellectuelle d'Ibn al-Dawādārī.

Dans la préface de sa grande Histoire, il nous dit avoir cultivé l'art de la littérature et avoir fréquenté les gens de science et de vertu. De qui s'agit-il? Au cours de son ouvrage, il n'indique guère de noms. Nous le voyons seulement, dans la neuvième partie, fréquenter quelques soufis dont il rapporte les faits et gestes. De même, nous le voyons visiter les monastères de Haute-Egypte, dont il consulte les bibliothèques. Ainsi, parmi les sources utilisées dans la sixième partie, figure un ouvrage copte, lu au Monastère Blanc, dont il aurait recopié des extraits. Connaissait-il le copte ou se le fit-il traduire? Nous l'ignorons. Enfin, nous le voyons tomber comme par hasard sur quantité de livres rares, ce qui dénote chez lui la passion de la science et de la lecture.

C'est cet amour de la science qui l'amena à composer divers ouvrages. Parmi ceux qu'il énumère dans la neuvième partie, deux seulement nous ont été conservés : un abrégé d'histoire intitulé *Les perles des couronnes,* et une Histoire plus développée ayant pour titre *Le trésor des perles*. Aucune de ses œuvres littéraires n'est parvenue jusqu'à nous ; sans doute s'agissait-il d'anthologies. A en juger d'après certains passages de la sixième partie, il savait en effet apprécier les vers, en faire un choix judicieux et les accompagner de réflexions pertinentes.

Mais, puisque nous n'avons plus de lui que ses deux livres d'histoire, parlons un peu d'Abū Bakr en tant qu'historien, en nous basant surtout sur les sixième et neuvième parties du plus étendu d'entre eux.

Ṣarkhad, bourgade du Hauran célèbre pour sa citadelle, nous avons découvert un certain Aybak al-Ostādār al-Moʿaẓẓamī, mort en 645 H./1247-1248, qui fit bâtir à Damas la Madrasa ʿIzziyya. Selon les sources consultées, il serait mort à Ṣarkhad, puis aurait été transporté à Damas pour y être inhumé dans son école. Mais s'agit-il vraiment du grand-père d'Abū Bakr, ou simplement d'un homonyme? Notre auteur note en effet que ses grands-parents sont enterrés à Adhraʿāt.

Concernant son père, Abū Bakr nous dit que ses fonctions auprès de l'émir Sayf-al-Dīn Balabān al-Rūmī al-Ẓāhirī lui avaient valu le surnom de Dawādārī. Or Ibn Taghrī-Birdī nous apprend que cet émir fut secrétaire d'Etat (*dawādār*) de Ẓāhir Baybars, sultan de 658 à 676 H./1260-1277, et qu'il eut toute la confiance de son maître, étant spécialement chargé par lui des messagers, des espions et de la correspondance. Balabān mourut en l'an 680 H./1281, soit quatre ans après Baybars, mais nous ignorons à quel moment le père de notre auteur était entré à son service.

Abū Bakr passa son enfance au Caire, où son père possédait une maison, dans la Ḥārat al-Bāṭiliyya. En l'an 699 H./1290, ce dernier se vit confier le gouvernorat de la province de Sharqiyya, charge qu'il assuma onze ans durant, jusqu'en 710 H./1310, date à laquelle il en fut relevé sur sa demande. Le sultan lui permit alors de choisir son lieu de résidence, Le Caire ou Damas. Préférant la Syrie, il vendit sa maison, le seul bien qu'il possédât, pour pouvoir subvenir aux frais du voyage. A Damas, il fut nommé *mahmandār*, c'est-à-dire préposé à la réception et au traitement des messagers et des hôtes ; à ces fonctions s'ajoutèrent bientôt des charges administratives qu'il n'accepta qu'à contre-cœur et dont il se défit à la première occasion. Il demeura *mahmandār* jusqu'à sa mort, survenue en service commandé, l'an 713 H./1313 : au cours d'une inspection des citadelles, une chute de cheval lui fut fatale. On transporta son corps à Adhraʿāt, dans le Hauran, où il fut enseveli près de ses parents.

La façon dont notre auteur parle de son père nous le présente comme un grand personnage, mêlé à des affaires politiques importantes concernant notamment al-Nāṣir Moḥammad ibn Qalāʾūn, comme un homme respecté, loyal et pauvre (il laissa en mourant de nombreuses dettes).

De la vie d'Abū Bakr, nous ne savons guère plus que ces renseignements concernant les siens. Nous ignorons la date de sa naissance. Elevé au Caire, il

INTRODUCTION

Le VIIIe siècle de l'Hégire (XIVe s.) est, dans la littérature arabe, une des époques les plus fécondes en ouvrages historiques. De nombreux historiens y vécurent, qui nous ont laissé des œuvres importantes. Nombre d'entre eux sont des traditionnistes, qui ont mêlé l'histoire, telle que les musulmans l'ont comprise, au *ḥadīth*, au *fiqh* et à la biographie. Ainsi al-Qoṭb al-Yūnīnī (m. en 726 H./1326), Birzālī (m. en 739 H./1339), Ibn al-Jazarī (m. en 739 H./1339), Dhahabī (m. en 748 H./1348), Ḥosaynī (m. en 765 H./1364), Sobkī (m. en 771 H./1370), Ibn Kathīr (m. en 774 H./1373), Ibn Rāfiʿ (m. en 774 H./1372) et Ibn Rajab al-Ḥanbalī (m. en 795 H./1392). Certains ont lié l'histoire à la littérature ; c'est le cas d'un Ṣalāḥ al-Ṣafadi (m. en 764 H./1363). D'autres, tels Ibn Shākir al-Kotobī (m. en 764 H./1363), furent des libraires. D'autres enfin eurent des relations avec l'Etat, furent fonctionnaires ou fils de fonctionnaires, comme Baybars al-Dawādārī (m. en 725 H./1325) et Abū Bakr ibn al-Dawādārī (m. après 736 H./1335). Au point de vue historique, les œuvres de chacune de ces catégories d'auteurs ont leur intérêt particulier.

Ceux qui appartiennent à la dernière d'entre elles, comme c'est le cas de notre auteur, ont l'avantage d'avoir été les témoins oculaires de nombreux événements qu'ils rapportent, d'avoir su les dessous de la politique contemporaine et d'avoir souvent exprimé les points de vue gouvernementaux. Leurs ouvrages sont donc d'une valeur inestimable lorsqu'ils parlent de l'époque où ils vécurent ; quand il s'agit de faits antérieurs, tout dépend des sources auxquelles ils ont puisé et de la façon dont ils les ont utilisées.

Nous savons peu de choses de celui qui composa le texte que nous publions ici. N'étaient celles de ces œuvres qui nous sont parvenues, nous ignorerions tout de lui, car les biographes du VIIIe/XIVe siècle se taisent à son sujet. Les quelques renseignements que l'on y peut glaner ne permettent de retracer sa vie que de manière fort incomplète.

L'auteur nous dit son nom en intitulant son ouvrage : il s'agit d'Abū Bakr ibn ʿAbdallāh ibn Aybak gouverneur de Ṣarkhad. Commençons par tâcher d'identifier son grand-père. Après maintes recherches concernant les gouverneurs de

AVANT-PROPOS

En 1958, j'avais suggéré au Professeur Hans Roemer la publication, par les soins de l'Institut allemand d'Archéologie du Caire, d'une collection de textes historiques concernant l'Egypte musulmane. A ce propos, je lui avais parlé du *Trésor des perles* d'Ibn al-Dawādārī comme d'une source de premier ordre, notamment pour la connaissance des faits contemporains de l'auteur.

Le Professeur Roemer, puis l'Institut, ayant agréé ma suggestion, nous nous étions entendus pour collaborer à l'édition critique de ce texte important : le Professeur Roemer s'occuperait des huitième et neuvième parties ayant trait à l'époque mamelouque, et je me chargerais des sixième et septième parties concernant les Fatimides et les Ayyoubides.

Je suis fort heureux de voir l'Institut allemand du Caire publier ainsi les textes historiques relatifs à l'Egypte. Si nombreux que soient de tels documents, à part quelques ouvrages de Maqrīzī, rares sont ceux qui avaient été édités jusqu'ici. Or, à mon humble avis, l'on ne saurait parfaire la rédaction d'une histoire de l'Egypte musulmane tant que ces textes ne seront pas publiés. C'est dire tout l'intérêt de la tâche entreprise par l'Institut, tant pour les chercheurs que pour l'Egypte elle-même.

Cet avant-propos m'est l'occasion de remercier le Professeur Hanns Stock, Directeur de l'Institut allemand, pour la publication de la collection, pour le fait de m'avoir confié l'édition critique de cette sixième partie. Je remercie également le Professeur Roemer pour avoir entrepris personnellement la réalisation de ma suggestion. Je remercie enfin mes collègues de l'Institut des Manuscrits, Fo'ād Sayyid, Rashād ʿAbd-al-Moṭṭalib, Moḥammad Morsī al-Khūlī et Moḥammad ʿAbd-al-Qādir, qui ont bien voulu m'aider à corriger les épreuves d'imprimerie et à composer les index, et le R. P. Serge de Beaurecueil O. P. pour sa précieuse collaboration.

S. M.

Druckerei der Lagnat at-ta'lif — Kairo

DIE CHRONIK
DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ

SECHSTER TEIL

DER BERICHT ÜBER DIE FATIMIDEN

HERAUSGEGEBEN VON

ṢALĀḤ AD-DĪN AL-MUNAǦǦID

KAIRO
IN KOMMISSION BEI HARRASSOWITZ WIESBADEN
1961

Deutsches Archäologisches Institut Kairo

Quellen zur Geschichte des Islamischen Ägyptens

BAND 1f

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ, TEIL 6